احوال الدين في السنة الثالثة والعشرين

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ اضطراب السياسة العالميَّة وان كانت صداها لا تخلو من تأثير في امور الدين الَّا انَّها لا تقوى على قهر سلطانهِ لان مصدر قوَّتهِ من الله ولا يستطيع ان يقاوم اللهَ بشرٌ فالكنيسة ظافرةٌ ابدًا على رغم تقلُّبات العالم لانَّ «السماء والارض يزولان وكلام الرب لا يزول» . وقد وصف بولس الرسول هذا الانتصار الدائم والفوز المبين مع تباين احوال العالم حيث قال (٢ كورنتس ف٦) : «نُظهر في كلّ شيء انفسنا كخدَّام الله بالمجد والهوان . بسوء الصيت وحسنه . كأنَّا مُخطُّون ونحن صادقون . كأنَّا مجهولون ونحن معروفون . كأنَّا مائتون وها نحن احياء . كأنَّا حزان ونحن دائمًا فرحون . كأنا فقراء ونحن نغني كثيرين . كأنا لا شيء لنا ونحن نملك كلَّ شيء» . ولم تشذَّ السنة ١٩٢٤ عن هذه القاعدة المطَّردة فان كانت الكنيسة لقيت في طريقها ما عثرت بهِ رجلها فانَّ عثرتها لم تثبطها عن السير الى الامام معتمدةً الى قول الربّ لرسلهِ : اذهبوا تلمذوا كل الامم ها انا معكم الى منتهى الاجيال

*

﴿ رومية وحبرها الاعظم ﴾ أعلن قداسة البابا نيَّتهُ باستئناف المجمع الفاتيكاني الذي قُضي على توقيفهِ سنة ١٨٧٠ بدخول الجنود الايطالية الى رومية . واما موعد افتتاحهِ فالسنة اليوبيليَّة ١٩٢٥ . ولا شكَّ في انَّ الكنيسة بمواصلة هذا المشروع الخطير ستنال قوًى جديدة لتعزيز روح الدين ونشر مملكة المسيح . وقد قرَّر كثير الاحبار بهذه النسبة ايضًا انشاء معرض عمومي للرسالات الكاثوليكيَّة في رومية تُعرض فيهِ كل مصنوعات المرسلين في العالم اجمع في جميع الفنون فيتَّضح لدى كلّ زوَّارهِ ما للكنيسة من الفضل العظيم في تنشيط سائر العلوم والصنائع وانَّها لا تزال تمشي في مقدَّمة الشعوب في ترقية المعارف والآداب كما تتقدَّمهم في رفع منار الدين

ومن المعلوم ان القداسة احدى ميزات الكنيسة الكاثوليكيَّة ففي هذا العام المتصرم اثبت الحبر الاعظم قداسةَ بعض اولياء الله بعد الفحص المدقَّق عن سيَرهم

وفضائلهم السامية ومعجزاتهم الاكيدة الثبتة بشواهد لا ريب في صحتها ونخص منهم بالذكر تلك الفتاة العجيبة تريزية المنتمية الى يسوع الطفل من راهبات الكرمل المنتقلة الى الله برائحة القداسة سنة ١٨٩٧ . ثم الكاهن السامي الفضيلة ميشال غاريكوي منشىء جمعية كهنة قلب يسوع الذي عطر ببرارته واعماله قسماً كبيراً من وطنه . ولاسيما الكردينال اليسوعي روبرتوس بلارمين احد جهابذة الكنيسة في اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر الذي احيا بفضيلته وعلمه البليغ ذكر آباء الكنيسة الاولين وملافنتها النوابغ

وكما اعلن بقداسة هؤلاء المذكورين انتهز ايضاً فرصة التذكارات المئوية لبعض مشاهير القديسين ليوجه الى العالم المسيحي براءات تُشيد بثنائهم وتعرض مآثرهم لتكون قدوةً لابناء الكنيسة وهكذا فعل في تذكار القديسَين الكبيرين والمالين السابقين توما الاكويني وفرنسيس دي سال اسقف جنيفة . وكلاهما قد شرَّف الكنيسة بل الانسانيَّة كلها بفضله وفضيلته . (راجع مقالتنا عن هذين الملفانين في المشرق ٢١[١٩٢٣]: ٨٨١-٨٩٧)

ولم ينسَ الحبرُ الاعظم الكنائس الشرقيَّة فانهُ اصدر براءةً في ١٢ ت٢ لتذكار مئة الـ ـة لاستشهاد القديس يوسافاط رئيس اساقفة بولوسك الذي مات ضحيَّة غيرته في دفا ـ ـن الوحدة الكاثوليكيَّة بين الصقالبة وانتهز قداستهُ هذه الفرصة ليدعو الى الحظيرة البطرسيَّة الخراف الضالَّة التي لخلاصها بذل ذاك الراعي الصالح نفسهُ على مثال سيِّده سنة ١٦٢٢

وقد تَلمنا بالسرور على ما التمسهُ كثيرون من اساقفة فرنسة من الكرسيّ الرسولي ان يؤلف لجنةً للبحث عن فضائل ومكرمات الطيّب الذكر البابا بيوس العاشر لاثبات قداستهِ ودرج اسمهِ بين المطوَّبين

وقد سرَّنا كذلك خبر تشكيل لجنة في رومية ليقام فيها كنيسة على اسم قلب يسوع تكون في عاصمة الكثلكة مزاراً لكلّ الشعوب الكاثوليكيَّة لاقامة الصلاة فيها لاجل ضحايا الحرب الكونيَّة ولتأليف قلوب الامم بالمحبَّة المسيحيَّة بعد نفورها وانشقاقها لغايات بشريَّة

﴿ فرنسة ﴾ الكاثوليكيَّة قد عزَّزت بعد الحرب كلّ مشروعاتها التقويَّة

وانشأت كثيراً غيرها بهمّة اساقفتها واكليروسها الذي يُعَدُّ في مقدّمة الاكليروس الكاثوليكي بغيرته وفضله. وقد وقفنا على مجموع تلك الاعمال الرسوليّة في باريس وحدها فان وصفها منشورٌ في كتاب يبلغ الالف من الصفحات

حسبنا ان نروي ما نقلتهُ عن مجلد رسمي رسالة قلب يسوع عن مدارس الاحد التي انشأتها احدى سيّدات باريس للاهتمام بالاحداث الشاردين لتلقينهم التعليم المسيحي وإعدادهم لقبول سرّي التوبة والقربان . وقد ضمّت السيّدة اليها للقيام بهذا العمل ٤٣٠٠ من النساء الغيورات والاوانس يُعنَين حاضراً بتهذيب خمسين الفاً من اولئك الاحداث المهملين

وفي باريس عُقد في السنة الاخيرة مؤتمر القربان الاقدس في شهر تموز حضرهُ ارباب الكنيسة وخُتم بطواف مشى فيهِ اربعة كرادلة وغبطة البطريرك ديتريوس القاضي وسبعون اسقفاً ومئون من الكهنة وكلهم ببزهم الدينيّة ونيف وخمسون الفاً من نخبة المؤمنين بينهم مشاهير الرجال اصحاب السيف والقلم وذوو المناصب العليا من كلّ الدوائر الدينيّة والمدنيّة . فعُدّت تلك المظاهرة انتصاراً باهراً للدين في عاصمة فرنسة

جرت مخابرات جديدة بين الحكومة الفرنسويّة والاساقفة يؤمَّل منها اتفاق الفئتين بخصوص الاملاك الكنسيّة بحيث لا تضيع حقوق الكنيسة واستقلالها ويبقى للدولة نظرها وذلك بانشاء شركات اسقفيّة (Associations diocésaines)

وقد فُجعت فرنسة عموماً والكاثوليك خصوصاً برزاة احد رجال الخير ونوابغ الوطن المسيو بول ميشو (Paul Michaud) المتوفّى في ٢٤ ت ٢ ١٩٢٣ بعد ان سعى مدّة ثلاثين سنة بنيف الى تنظيم فرَق من الشبّان المتطوّعين ليدرّبهم على كلّ آداب الكشّافة الوطنيّة والعيشة المسيحيّة الفضلى فنجح نجاحاً باهراً بعملهِ فكان في الحرب الاخيرة الوف مؤلفة من اولئك الشبّان الذين شرّفوا وطنهم بمآثر لا يأتيها الّا الابطال . ولمّا مات مُنشئهم حضر الصلاة على نفسهِ ممثلو الحكومة وارباب ونوّاب كلّ الدوائر العسكريّة وعدد لا يقوم بهِ احصاء من كلّ طبقات الشعب

﴿ انكلترة ﴾ الكثلكة فيها في تقدّم دائم لثبوتها على تعليم واحد وايمان واحد بين الشيع التي تتعدّد في بريطانية وتتناقض يوماً بعد آخر . وقد علمنا انهُ لا يمرّ

على الكاثوليك يوم واحد دون ارتداد بعض الضالين الى حجر الكنيسة ليس من الشعب فقط بل من كبار القوم . نخص منهم بالذكر الكاتب الشهير جيلبرت شاسترتن منشىء مجلة (New Witnes) الذي جحد الشيعة البروتستانية وانضوى الى الكنيسة الكاثوليكية جارياً على مثال والده الذي توفي في العام الماضي بعد ان استنار بنور الايمان القويم فكان لاهتداء المستر جيلبرت اصداء بعيدة في عالم الصحافة

وقد اطنبت جرائد انكلترة عموماً على فقيد الدولة واحد كبار اشرافها الدوق دي نورفلك الكاثوليكي ومارشال البلاط الملوكي اشتهر بممارسة كل الفضائل المسيحية وبمبرّاته المتعددة منها تشييد الكنائس الكبرى ذات الهندسة البديعة على نفقته . وقد ترك في وصيته ٧٥٠٠٠ ليرة انكليزية للمؤسسات الخيرية

﴿ ايطالية ﴾ أدرك موسوليني ما صارت اليه البلاد من الانحطاط من حيث الدين والأدب بدسائس الماسونية والملحدين فأمر بأن يُعاد في مدارس الاحداث التعليم الديني وان يُنصب فيها وفي المحاكم تمثال الصليب المبارك . وكذلك ناهض الجرائد الكفرية وضرب الماسونية ضربة مزلقة اذ اقتل في وجه البنائين الاحرار باب الدخول في حزبهم المعروف بالشر . زد على ذلك ما اظهر دائماً لا توام الدين وراعيه قامت بها حكومته المعتدلة في جملة وجوه . وقد شكره كل ذوي الادب والعقلاء على النشرة التي تقدّم بها الى عمّاله ليتزعوا الصور والرسوم الخلاعية التي تُعرض نظر العموم . وكذلك الكتب الفاسدة امرهم بمنع نشرها واتلافها

﴿ اسبانية ﴾ هي المملكة اللاتينية الوحيدة التي تجاهر رسمياً بانتماء دولتها الى الكثلكة فتجري على تواميسها وتتشبث بتعاليمها وقد لاحت شواعر الدين الاسباني لما نُقلت الى اسبانية ذخائر القديسين اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس الاسبانيين فنهضت البلاد نهضة الرجل الواحد لاستقبالها برونق وبهاء لم يُعهد لهما بشبيه . على انّ في اسبانية من الاباحيين والشيوعيين قوماً يعملون خفيةً في معاكسة كل سلطة دينية ومدنية معاً . ومن مآثمهم في العام الماضي اغتيالهم لنيافة كردينال سرقسطة دي سلداڤيلا (G. de Soldevila Y Romero) قُتل لجرأته في المدافعة عن حقوق الكنيسة وحرمة الآداب

﴿ المانية ﴾ قد شعر البروتستانت في المانية بالسداهية التي حلّت بكنيستهم

لسقوط الامبراطور غليوم الذي كان جامعاً لكلمتهم وخافوا ان يزداد عدد المرتدين الى الكنيسة الكاثوليكية فاجتهدوا في العام السابق بضمّ قوى شيعهم وتوحيدها واصلاح بعض شؤونهم الدينية بل احبُّوا ان يتعتوا نفسهم بالكاثوليك. لكنّ تلك المساعي لم تأتِ بجدوى وهيهات ان يستطيع البروتستانت ان يؤلفوا جسماً واحداً مع شيوع مبدأ حرّية الضمير بينهم

اما الكاثوليك فانّ قوّتهم بوحدة ايمانهم وخضوعهم لرؤسائهم . وقد استفادوا من الجمهورية الالمانية الجديدة الحرّية التامة للتبشير والتعليم والتأليف ما لم ينالوا مثلهُ في عهد الامبراطورية

﴿ النمسة ﴾ خفَّ ايضاً في حكومتها روح المعاداة للكنيسة الذي كانت ورثتهُ من ملكها يوسف الثاني (le Joséphisme) فانّ زعماء دينها اصبحوا اليوم في مقام رفيع اليهم يرتو عروسُ الاهلين بالبصر لتلافي الاضرار الجسيمة التي سبَّبتها لهم الحرب الكونية . وقد عُقد في مدينة إنسبروك المؤتمر الدولي الثالث للشبيبة الكاثوليكية كما عُقد في ڤينة مؤتمر الكاثوليك النمسويين وفي كليهما وجد النمسيُّون مُنعشاً جديداً لآمالهم الطيبة في مستقبل وطنهم

﴿ المجر ﴾ انّ الاحصاءات الرسمية التي أُجريت في المجر دلَّت على غزر مواليد الكاثوليك وهبوط عدد البروتستانت . فنسبة الكاثوليك الى مجموع النفوس ٦٠ في المئة والباقون بروتستانت ويهود . وقد بلغ عدد الفرمسون في المجر ٨٠٠ لهم نحو مئة محفل والسيطرة فيها لليهود ولاعداء الدين . على انّ الكاثوليك شعروا بما يتهدَّدهم من قبلهم من المخاطر فضمُّوا قواهم لمناهضة اولئك الغُلاة الاشرار وتأييد دين رسولهم وملكهم القديس استفانوس

﴿ هولندة ﴾ قليلة هي البلاد التي يُخلى فيها الكاثوليك بالحرّية التي يتمتَّع بها الهولنديون الكاثوليك. فانهم قد كادوا ان يبلغوا حُسنَى الاهلين . ومشروعاتهم الدينية والادبية تشهد لهم بطول الباع في خدمة وطنهم . واليهم يستند المحافظون من البروتستانت لردّ هجمات الشيوعيين

﴿ اسوج ونروج ﴾ كانت هذه البلاد موصدة في وجه الكاثوليك زمناً طويلاً ولاسيما في اسوج حيث الشرائع الوطنية تُشعر الى اليوم ببغض البروتستانت للكنيسة

الكاثوليكيَّة لكنَّ قوَّة الله غلبت ذلك التعصُّب فانَّ زوج منحت الحرِّيَّة للكاثوليك الذين ألفتوا اليهم نظر مواطنيهم بأعمالهم الخطيرة . امَّا اسوج فلا تزال متشبِّثة بعضادَتها نوعاً للنفوذ الكاثوليكي الَّا انَّ ما صارت اليه الشيع البروتستانيَّة من الانحلال وضعف الدين عزَّز قوى الكاثوليك فيها وقد امكن في العام الماضي الراهبات الكاثوليكيَّات اللواتي انشأتهنَّ القديسة بريجتا شفيعة اسوج ان يَعُدن الى وطن منشئتهنَّ ليفتحنَ فيه اوَّل دير كاثوليكي

﴿تشيكوسلوفاكية﴾ عقد الكاثوليك مؤتمرهم الاوَّل في اواخر شهر آب في مدينة كرنفكرتس فأتى بنجاح باهر على الرغم من كلّ اعداء الدين الذين افرغوا كنانة الجهد لما كسته فعرف الكاثوليك قوَّتهم وتضافروا للدفاع عن حقوقهم بازاء المعادين لهم ولاسيما في امور المدارس التي يحاول الملحدون نفيَ الدين وتعاليمه عنها

﴿بولونية﴾ تتناصر على حكومتها الكاثوليكيَّة كلّ اعداء الكنيسة المحدقين بها من بولشفيك وشيوعيين ولاسيما يهود يتهدَّدون وجدانها بدسائسهم ومكايدهم . فانَّ شرطة الدولة السرِّيَّة تكتشف كلّ يوم مؤامرات جديدة يعتدها اولئك الاشرار ضدّ الوطن والدين معاً ومن مآثمهم انَّهم نسفوا قلعة ڤرسوڤية بالديناميت وحاولوا نسف جامعتها وانتهبوا كنوز الكنائس وابتزُّوا ذخائرها الثمينة وانتهكوا حرمتها . فترى انَّ الجحيم في العالم كلّه لا يعرف الَّا عدوًّا واحداً وهو الدين الكاثوليكي

﴿فنلندة﴾ كانت الحكومة السكوبيَّة أقفلت ابوابها دون النفوذ الكاثوليكي لكنَّ حكومتها الجديدة المستقلة منحت حرِّيَّة الاديان وقد مكَّن رئيسُ جمهوريتها كرل ستالبرج الكرسيَّ الرسولي من الاهتمام بما بقي هناك من الكاثوليك فأرسل لهم قداسة البابا في العام الماضي اسقفاً يرعاهم وهو الاب بوكس من جمعيَّة كهنة قلب يسوع فوجد في فنلندة استقبالاً في غاية الوداد

﴿الولايات المتَّحدة﴾ دلَّت الاحصاءات الرسميَّة على تعدُّد الجنايات في اميركة الشماليَّة فهي تفوق على عدد الجنايات في فرنسة وفي انكلترَّة وقد نسبت الصحافة هذا الخلل الى اهمال التعليم الديني في المدارس الوطنيَّة . امَّا الاساقفة الكاثوليك فانَّهم يجعلون الدين في مقدَّمة اهتمامهم ويجاهدون جهاد الابطال في تعزيزه سواء كان في المدارس ام في التربية البيتيَّة

﴿ اوستراليـة ﴾ انَّ ازدهار الكثلكة في اوستراليا ونموّ عدد المؤمنين فيهـا اضطرَّ الكرسيّ الرسولي ان يزيد عدد ابرشيّاتها . فأصبح عدد رؤساء اساقفتها خمسةً وعدد اساقفتها خمسة عشر مع نائبَيْن رسوليين . ثمَّ لزيلندة والطسمانية نظامها الخاص وكذلك جزائر اوقيانية

﴿ الارجنتين ﴾ هذه الجمهوريّة معروفة برقيّ الكثلكة في انحائها ورئيسها دي الفيار من رجال التقى والدين . وفي العام الماضي قدَّم للكرسيّ الرسوليّ السيد ميشال دي اندريا ليوليهُ رئاسة الاساقفيَّة على عاصمة الارجنتين بونس ايرس وهو من رجال وطنهِ المعدودين بفضلهِ وفضيلتهِ وهو محامي المهاجرين من الوارنة في تلك الجمهورية

﴿ بناما ﴾ حاول بعض الملحدين من جمهوريّة شيلي ان يبثّوا بين اهلهـا روح الكفر فقامت قيامة الكاثوليك وألجأوا اولئـك الكَفَرة الى الفرار . وقد طلبت حكومة البلاد من الكرسيّ الرسولي ان يعيّن لهُ قاصدًا رسوليًّا في تلك الدولة

﴿ روسيَّة ﴾ اعلن البولشفيك حرباً عواناً على الدين فبثوا حكمهم على الكفر والالحاد وظنّوا انَّ جمهور الشعب يتبعهم في هذه الخطَّة المستقبحة بعد ان فرَّقوا عليهِ املاك الاغنياء وهيَّجوا مطـامعهُ الَّا انَّ القوم عرفوا انَّ الروسيـات يقودونهم الى الهمجيَّة والتوحُّش فاستقبحوا اعمالهم وهم يطالبون اليوم بان تُفتَح الكنائس المقفلة وتُطلق الحرّية للدين . ولو بقي البطريرك تيخون ثابتاً على معاكسته للسوفيات لكان ظفر بهم . وقد كان على خلاف ذلك لقتل الاسقف الكاثوليكي السيد بودكيافكس اسوأ تأثير في كلّ الـدول وزاد نفور العالم المتمدّن من البولشفيَّة وسيئاتها حتى خجل السوفيات نفسهم من ذلك الفعل الشنيع الذي جَلَبهم عارًا

﴿ الكنيسة اليونانيَّة ﴾ كلّ يعلم ما صارت اليهِ هذه الكنيسة المتباهية سابقاً باسم البطريركيَّة المسكونيَّة فانَّها اصبحت اليوم فوضى تتلاعب بها الاهواء البشريَّة . يتناوب في رئاستها البطاركة دون ان يستقرّ لهم قرار . والاختلافُ واقع بين اساقفتها واعضاء سينودسها مع تداخل الدولة التركيَّة في امورها حتى اصبح الدين بين اهلها في اسوإ حال وزدْ الى ذلك تقرُّبهـا من الشيع البروتستانيَّة وتساهلهـا في زواج الاكليروس واستقلال الكنائس الاجنبيَّة عن حكمها حتى أصبح البطريرك المسكوني لا يحكم على ازيد من ثلثمائة الف مرؤوس بعد ان كان ذلـك الحكم يمتدُّ الى

تسعين مليوناً من البشر . فما للكنيسة البوزنطيَّة لا تسمع صوت الراعي الالهي الذي اوحى الى العالم انَّ الثبات للصخرة البطرسيَّة وحدها وانَّ كلَّ بناء خارج عنها صائر الى الهبوط والخراب؟

﴿العراق﴾ عادت الى الوصل رسالة الآباء الدومنيكان التي بدأتها تركيَّة يوم دخولها في الحرب مع الدول المركزيَّة فاستأنف الرهبان والراهبات اعمالهم الرسوليَّة تحت نظارة قاصدهم الرسولي الجديد السيِّد دومنيك بيره ذي الباع الطولى في تدبير الامور

احتفل حضرات المرسلين الكرمليين في ١٣ نيسان بتذكار المئة الثالثة لدخول المرسلين الاوَّلين من رهبانيَّتهم في مدينة البصرة التي خدموها بغيرة لا تعرف الملل وبفضلهم خصوصاً بلغت اليوم الى ازدهار الدين فيها . وقد خدموا فيها الوطن كما خدموا الدين فانَّ فرنسة قد اختارت منهم تسعة تفاصل لتدبير امورها . ولذلك قد حضر رسميًّا قنصل فرنسة هذه الاعياد مع الكولونل دينان رئيس دائرة الطيران في سوريَّة

﴿سوريَّة﴾ اخذت الشيعة السوريَّة تأخر نهضتها السنية وتبثُّ روحها الفاسدة . فقام غبطة البطريرك الماروني وحرَّما بمنشور ليسل ضربةً ليمة واعلن بالحرم على المتشيِّعين بها . فحاول انصارها الدفاع عنها فلم يُجدِهم دفاعهم نفعاً بل زادهم عاراً وبادر معظم اللبنانيين فاحتجُّوا على سفاهة ابناء الارملة وصرَّحوا بخضوعهم التامّ لرئيس كنيستهم

وقد تسابق اللبنانيُّون في هذا العام لتقدمة التهانئ لغبطة مار الياس الحويك بطريرك انطاكية وسائر الشرق بنيل يوبيلهِ الذهبي الكهنوتي والفضي البطريركي وذكروا بالشكر ما ادَّاهُ للكنيسة والوطن من الخدم الجلَّى التي خلَّدت اسمهُ في تاريخ لبنان — وهكذا جرى لغبطة بطريرك السريان افرام الثاني الرحماني بين اهل ملَّتهِ وقد تلطَّف قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر فكتب لكليهما رقيماً بيده يعدِّد فيهِ مآثرهما الجمَّة ويهنيهما البركة الرسوليَّة